

يربط هاتين ، المسألة اليهودية ، والنزعة اللاسامية ، فيما بينهما ، بالصراع الطبقي الدائر في أوروبا ، وما نتج عنه من تباؤس مستعر بين الدول الاستعمارية ، لفتح اسواق جديدة امام بضائعها ، والاستيلاء على اراض تنشيء عليها مستعمراتها بقصد حماية طرقها التجارية الهامة ، وتوفير المواد الخام لمصانعها ، من تلك الاراضي ، والتخلص ، ايضا ، من الفائض النسبي للبروليتارية ، بتشغيلها في تلك المستعمرات . ولقد دعم المؤلف رؤيته واستنتاجاته بالوثائق والمدكرات والوقائع التاريخية ، وسنمعرض مضمون كل فصل على حدة ، لنضع ملحوظات اولية ارتأينا ضرورة ابدائها ، ثم تنتهي الى مناقشة النزعة التي سيطرت على الكتاب ، مع التاكيد على ان هذه الملاحظات لا تقلل من شأن هذا الكتاب القيم ، ولكن تحرص على اثارة نقاش تخضع للحوار ، تحت شعار الموضوعية الشديدة وضغط المنهج العلمي الذي تعامل معه المؤلف ووجه خطه التحليلي .

١ - الفصل الاول . الطابع التاريخي للمسألة اليهودية : في هذا الفصل يبدأ المؤلف بحثه ، التاريخي والمادي ، عن جذور المسألة اليهودية ، والنزعة اللاسامية المترنة بها ، ومسبباتهما ، في طبقات علاقات الانتاج التي هيمنت على [المجتمع الاتطاعي خلال العصور المظلمة والوسطى] (ص ١٦) ثم يستعين بماركس ، ليبرر « منهجه الثوري » ، فيكتطف من كراسه المعروف « المسألة اليهودية » الفقرة التالية : [لن نبعث عن سر اليهودي في دينه ، بل سنبحث عن سر هذا الدين في اليهودي الحقيقي] (ص ١٧) ويضيف ماركس في كراسه نفسه [ان الفرق بين الانسان الديني والمواطن ، انما هو الفرق بين التاجر والمواطن ، بين الياوم والمواطن ، بين الملك العقاري والمواطن ، بين الفرد الحي والمواطن] (١). وهدف ماركس الواضح من وراء تمريناته هذه هو الكشف عن المفارقة الشاسعة بين الانسان الديني او المواطن ، ككلمات مجردة وعهومية ، وبين التاجر والملك والعامل ، اي الانسان الذي يؤثر عليه وضعه الاجتماعي ومصالحه الاقتصادية والمعيشية ، وبجملته افضل ، الانسان الشخص ، وهكذا ينقلنا المؤلف الى نوعية التفاعل الحياتي الجدلي بين الانسان « الشخص » (٢) اليهودي والمجتمع الذي

يحيا فيه ومنه ، ويرى ، اي المؤلف [ان الاطراف التي سيطر عليها الرأسمال البضاعي ، هي المجتمعات الزراعية المنفصلة عن بعضها البعض ، والتي يقوم التجار بالتوسط التبادلي بينها ، والتي يستحيل على الرأسمال البضاعي ان يوجد ويتكون بدونها] (ص ١٧) وبما ان [الجاليات اليهودية في المجتمعات الوسطى « الزراعية » قامت بهذا الدور التجاري ، فقد حدد ماركس مكانها الاجتماعي بدقة ، في قوله ان اليهود كانوا يعيشون ، في مسام هذه المجتمعات مثلهم في ذلك مثل بقية الشعوب التجارية في العالم القديم] (ص ٢١) ثم يستشهد المؤلف ايضا بماركس ، مقتطعا فقرة من كتابه رأس المال [وكلما كان الانتاج متخلفا كلما زادت كمية الثروة النقدية المتركة بين ايدي التجار] (ص ٢٢) . ولقد مارس اليهود نشاطا اقتصاديا اخر هو الربا . [والربا كالتجارة ، يستغل نمطا معيناً للانتاج ولا يخلقه ، بل يحاول المحافظة عليه ، مباشرة ، كي يتمكن من استغلاله مجددا وعلى الدوام] (ص ٢٢) وبما ان هذه الجاليات كانت تمارس وظيفة ضرورية ، ومحرمسة في الوقت نفسه في المجتمعات الزراعية الاتطاعية ، فقد تمكنت من الاستمرار في الوجود ، ولم تنقرض ، او تندمج كلياً في الحياة الانتاجية السائدة والغالبة في محيطها ، وبما ان وظيفتها كانت هامشية ، اي انها تستغل نمطا معيناً للانتاج ولا تخلقه ، في حياة المجتمع واساليه ، في انتاج الثروة ، لذلك يكون من الطبيعي [ان تنصف العلاقات بين هذه الجاليات والمجتمعات المضيفة لها ، بالتعايش المتوتر والحذر] (ص ٢٨) وهذا التفاعل او الاتجاه التاريخي العام ، لهذا النوع من العلاقات غير المستقرة ، راجع الى عدم رغبة المجتمع المضيف في هضم الجاليات كلياً بسبب وظيفتها الضرورية ، التجارة والربا ، لاجتماع زراعي ، من جهة ، وعدم ارتياحه لها ، بسبب قربتها عن اسلوب حياته الاساسي ، ونمط انتاجه السائد من جهة اخرى ، لتلك الاسباب مجتمعة ظلت [العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود خلال العصور الوسطى ، من هذا النوع المتوتر والقائم على علاقات التحلل والتسامح] (ص ١٩) ، فالكنيسة من ناحية ، كانت تمكس ، في تعاليمها وممارساتها تركيب المجتمع الاتطاعي وقيمته . [لذلك كانت